المحاضرة السادسة عشر (16) --- مناهج البحث العلمي

- مناهج البحث العلمي:

⋆ مفهوم مناهج البحث:

في اللغة العربية المنهج هو الطريق الواضح: طريق نَهجُ: بينُ واضحُ، وهو النهجْ؛ والجمع نهجاتُ ونهجُ ونُهوجُ؛ وطرُقُ نهجةُ، وسبيلُ منهجُ: كنهج. ومنهجُ الطريق: وضحه. والمنهاجُ: كالمنهج. وفي القرآن الكريم: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" (المائدة: من الآية 48) وأنهج الطريق: وضح واستبأن وصار نهجا واضحاً بيناً؛ واستنهج الطريقْ: صار نهجاً (عبد المؤمن، 2000).

تعني كلمة منهج Method إجراء عملية لإحراز شيء أو تحقيق هدف، كما تعني إجراء نظامياً فنياً وبخاصة في البحث العلمي، أو أسلوباً للاستقصاء يصلح لتخصص بعينه. وتعني خطة نظامية لعرض مادة للتعليم أو التوجيه، وتعني كذلك فرعاً من المعرفة أو الدراسة يتناول مبادئ لتحقيق البحث العلمي، والمنهج هو مجموعة من الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث لعملية المعرفة التي سيقبل عليها من أجل التوصل إلى حقيقة مادة البحث (اسماعيل، 1996).

المنهجية كلمة عربية تترجم بها كلمة methodology بالإنجليزية، وهي تعني علم المنهج والذي يهتم بمجموعة المعارف والتقنيات والأساليب التي تقترن بالبحث العلمي، ويجري عليها الباحث عمليات التبويب والتصنيف والترتيب والهيكلة والقياس بغرض توظيفها في تقرير النتائج (معتوق، د-ت، ص. 131) (فرحاتي، 2012، ص ص. 15).

وهناك من يعرف المنهجية على أنها الطريقة المناسبة والأساليب التي تستخدم في دراسة ظاهرة معينة، أي تحديد طرق البحث وأساليب المعاينة الموضوعية، وهي ذات بعدين نظري وتطبيقي. حيث تتم معالجة الظاهرة في بعدها النظري والتطبيقي بمنهجية واحدة كالاستقراء والاستنباط والاستنتاج. وجاء في معجم مدكور أن المناهج هي الطرق التي ينبغي أن يسير عليها الباحث في دراسته لظواهر علمه لكي يحصل على نتائج يقينية في الكشف عن طبيعة الظواهر (مدكور، 1975، ص. 568) (فرحاتي، 2012، ص.16).

المنهج هو الطريقة التي يعتمدها الباحث للوصول إلى هدفه المنشود، وأن وظيفته في العلوم الاجتماعية هي استكشاف المبادئ التي تنظم الظواهر الاجتماعية والتربوية، والإنسانية بصفة عامة وتؤدي إلى حدوثها حتى يمكن على ضوئها تفسيرها وضبط نتائجها والتحكم بها (دعمس، 2008، ص. 40).

يشير مصطلح الطريقة أو المنهج العلمي (scientific method) إلى مجموعة التقنيات القياسية لبناء المعرفة العلمية مثل كيفية القيام بأخذ الملاحظات الصحيحة وكيفية تفسير النتائج وكيفية استقراء تلك النتائج (باتشيرجي، 2015، ص. 23).

⋆ الخصائص العامة لمناهج البحث العلمي:

تشترك مناهج البحث العلمي في جملة من الخصائص والمميزات أهمها (عليان، غنيم، 2000):

- طريقة التفكير والعمل المنظمة التي تقوم على الملاحظة والحقائق العلمية وتشتمل مجموعة من المراحل المتسلسلة والمترابطة.
- الموضوعية والبعد عن التحيز والاتجاهات والميول الشخصية.
- الديناميكية والمرونة بمعنى أنها قابلة للتعديل والتغير من وقت لأخر نظراً للتقدم الذي يطرأ على العلوم المختلفة.
- إمكانية التثبت من نتائج البحث العلمي في أي وقت وباستخدام أساليب ومناهج علمية جديدة.
- التعميم حيث يمكن تعميم نتائج البحوث العلمية ويستفاد منها في دراسة ظواهر أخرى مشابهة.
- القدرة على التنبؤ فأساليب ومناهج البحث العلمي قادرة على وضع تصور لما يمكن أن تكون عليه الظواهر المدروسة في المستقبل.

غير أن للمنهج العلمي وأشكاله المتباينة خصائص عامة ثابتة يلخصها "بروس تكمان W. Tuchman Bruce" فيما يلي (فرحاتي، 2012، ص ص. 117، 118):

- الانتظام:

أي أن البحث العلمي له قواعد وخطوات تتضمن إلزاما تحديد المتغيرات وهو بناء وبحث آثارها أو علاقتها وصياغة مشكلاتها وفروضها وإجراء التحقيقات اللازمة حولها، واستخدام الاستدلال (الاستنباط- والاستقراء) فهذه الخطوات تتطلب تناولها كنسق من العمليات منتظمة حسب متطلبات حل المشكلة.

- المنطقية:

ولما كانت عناصر المنهج العلمي وخطواته منتظمة، فإنها تكون بالضرورة منطقية أي أنها تخضع للفحص المنطقي فحتى تكون النتائج منطقية، فيجب أن تكون الوسائل المنهجية واستخدام أدواته منطقية أيضا، كفحص التجربة وخطواتها وتحقيق الصدق الداخلي والخارجي الاستمارات والاستبيانات والمعلومات، كل ذلك يجعل البحث منطقيا.

- الموضوعية:

يقصد بالموضوعية الالتزام بما هو كائن وبكل الشروط والتجرد من كل انحياز ذاتي أو إسقاط أيديولوجي أو توجيه مسبق للبحث، أو انتقاء للبيانات والمعلومات والنصوص، بحيث ينجز البحث العلمي في كل خطواته بممارسة الموضوعية في أعلى درجاتها، لا تتحكم فيه المشاعر ولا الأهواء ولا أغراض اقتصادية أو سياسية.

- التجريب:

بمعنى أن يكون البحث أمبريقيا ميدانيا، بحيث يعتمد الباحث في أي بحث على جمع المعلومات حول المشكلة المراد دراستها من ميدانها (سواء أكان هذا الميدان طبيعيا أم اجتماعيا أم نفسيا أم بيولوجيا ... الخ).

- التجريد:

ويعنى أن يصل الباحث مهما كانت المشكلة التي يدرسها إلى شبه فئات من المفاهيم مختزلة، وذلك بعد طرح بعض الخصوصيات والمميزات والتفرد وكل الخصائص المرتبطة بفرد أو مجتمع الدراسة إذا كانت الظاهرة إنسانية، أو بشيء إذا كانت الظاهرة طبيعية. وذلك ما يمكن الباحث

من الوصول إلى التجريدات والمفاهيم العامة فيقترب من صياغة القانون الذي يحكم أو يفسر الظاهرة ويستوعب أجزائها.

- **القابلية للتطبيق:** ونعني به أن يصل الباحث إلى نتائج يضمن لها التطبيق ويمكن أن يتبناها أي باحث أخر بعد ثبوت صدقها بطرقها وإجراءاتها في بحوث مماثلة.

- **القابلية للتعميم:** ويقصد بها أن تكون النتائج المتوصل إليها قابلة للتعميم على حالات أخرى مماثلة، من حيث الاستفادة، فإذا وجد أن نمط إعلامي معين أو نمط تربوي أو دعوي في بيئة محددة له آثاره الإيجابية، على وعي العينة في ظروف زمنية ومكانية محدد، فإن تعميم النتيجة عينها، يكون بحصول نفس النتيجة من حيث صحتها إذا ما طبقت على عينات في بيئات وعينات مماثلة أخرى.

بحسب بدر (1989، ص ص. 42، 43) للمنهج العلمي خصائص أرزها كالآتي (الدوني وآخرون، 2018، ص. 18):

1- يعتمد المنهج العلمي على اعتقاد بأن هناك تفسيرا طبيعياً لكل الظواهر الملاحظة.

2- يفترض المنهج العلمي أن العالم كون منظم لا توجد فيه نتيجة بلا سبب.

3- يرفض المنهج العلمي الاعتماد على مصدر الثقة، ولكنه يعتمد على الفكرة القائلة بأن النتائج لا تعد صحيحة إلا إذا دعمها دليل.